

فالتز بنيامين ونقد فكرة التقدم

Walter Benjamin critiques the idea of progress.

عبد الكريم نوار

جامعة اسطنبول مدينات

nouarabdelkarim122@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/11/01 تاريخ القبول: 2022/12/29 تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص:

تشترك هذه الورقة، نظرياً، مع فكرة التقدم في الفلسفة الهيكلية، ونحن نبين امتداداتها في الفلسفة الماركسية، فإننا نكشف غايتها كما يبرزها ماركس، فبالرغم من الانقلاب الذي أنجزه هذا الأخير ضد هيجل إلا أنه بقي وفياً لفكرة التقدم في صيغتها المادية الجدلية، ويتجلى المنعطف النظري في هذه الورقة في الاسهام النقدي الذي قدمه الفيلسوف والناقد الأدبي الألماني فالتز بنيامين الذي كشف زيف هذه الفكرة ويبين تحاقتها في ظل مسار الحداثة الغربية، إن هذه المقالة تفتح لنا أفق التفكير في إشكالية التاريخ، إذ تدعو إلى تفكيك السرديات التاريخية التي طالما بنتها الرواية الرسمية، ذلك انتصاراً لما يسميه بنيامين بـ "تاريخ المنهزمين".

الكلمات المفتاحية: التقدم- التاريخ- البناء التاريخي- الهدم التاريخي. فالتز بنيامين- هيجل

—ماركس

Abstract:

This paper, which we place in the hands of Arab readers, is theoretically intertwined with the idea of progress in Hegelian philosophy, and we present its extensions in Marxist philosophy. The theoretical turning point in this paper was reflected in the critical contribution of German philosopher and literary critic Walter Benjamin, who went so far as to expose the falsity and inconsistency of this idea in the course of Western modernity. This article opens the horizon for us to think about the philosophical problems that history presents, as it calls for the dismantling of historical narratives that have long been constructed by the official narrative, as a victory for what Benjamin calls the history of the defeated.

Keywords: Progress - history - historical construction
- historical demolition - Walter Benjamin - Hegel - Marx

مقدمة:

"الأصل هو الهدف" كارل كراوس

حظي هيغل (1770 - 1831) Friedrich Hegel بمكانة مهمة في تاريخ الفلسفة الغربية إذ تعد فلسفته من أكثر الفلسفات تأثيراً في الفكر الفلسفي الغربي، فلا أحد اليوم يستطيع أن ينفي تأثير هذه الفلسفة على أهم التيارات الفلسفية التي جاءت بعدها. يعتقد هيغل أن حركة التاريخ هي حركة تقدمية تتجه نحو غاية محددة، أما الإنسان هو وسيلة في يد التاريخ، وتعرضت الفلسفة الهيجلية للنقد من طرف كارل ماركس (1818-1883) Karl Marx الذي كشف عن مثالية هيغل وأهدافها، وقلب جدله ليصح مادياً، لكن ماركس نفسه لم يتحرر من فكرة التقدم، هذا ما جعل الفيلسوف والناقد الأدبي الألماني المعاصر فالتر بنيامين (1892-1940) Walter Benjamin ينهال على هذه الفكرة بوابل من النقد، وتمكن من كشف زيفها وبين قهافتها وذلك بالنظر إلى المسار التاريخي الذي اتخذته هذا التقدم، وما آل إليه في آخر المطاف من الكوارث والمآسي الإنسانية، مدافعاً على أنه بالرغم من التقدم العلمي والتقني الذي وصلت إليه البشرية، إلا أنها لم تصل بعد إلى التقدم الإنساني الحقيقي الذي يتطلب التبشير بقيم إنسانية جديدة تتجاوز أشكال الاستغلال والقمع والسيطرة، وينتصر فالتر بنيامين للمؤرخ المادي وعياً منه بأن هذا المؤرخ قادر على نزع صفة القداسة عن ذلك المشهد الاستعراضي الذي تقدمه رواية المنتصرين، وما يميز مقارنة بنيامين هو أنها تعارض مؤرخاً بآخر، من هنا فهو لا يقوم بعملية الهدم فقط وإنما يقوم بعملية البناء في نفس

الوقت. من هنا يمكننا أن نطرح الإشكالية التالية: ماهي الحجج التي يبني عليها فالتز بنيامين نقده لإيديولوجيا التقدم؟ كيف يمكننا "فرملة التاريخ" أو تمشيطة في اتجاه معاكس؟

سننطلق في هذه الورقة من استعراض موقف هيغل من فكرة التقدم، وذلك لمعرفة المنطق الذي يحكم التاريخ الهيجلي، وإلى أي هدف يتجه هذا التاريخ، وبعد ذلك سنناقش النقد الذي وجهه كارل ماركس لهيغل، لنرى كيف كشف الأول مثالية الثاني ولماذا لم يستطع ماركس التخلي عن فكرة التقدم التي ورثها عن هيغل. في الشق الثاني من هذه الورقة سنناقش النقد الذي وجهه فالتز بنيامين لفكرة التقدم التي لم تخلف ورائها سوى الكارثة، كما يعتبرها بأنها تنتصر لتاريخ المنتصرين في حين تهمش تاريخ المهزومين، وهذا النقد هو ما يمكن أن نسميه لحظة الهدم في أطروحات فالتز بنيامين، أما في الشق الثاني من هذه الورقة فإننا سنناقش انتصار فالتز بنيامين للمؤرخ المادي القادر على بناء تاريخ آخر بما هو تاريخ المهزومين الذي لم ينتصر بعد لنرى كيف ترتبط هذه الفكرة بفكرة الثورة عند فالتز بنيامين.

1- فكرة التقدم عند هيغل

ذهب الفيلسوف الألماني فريدريك هيغل إلى القول بأن سيرورة التاريخ محكومة بالروح المطلق، الذي ينمو ويتجلى في مختلف أشكال الوعي، حتى يحقق غايته النهائية التي هي الحرية، يقول هيغل في كتاب العقل في التاريخ : " إن العقل يسطر على العالم، وأن تاريخ العالم يتمثل أماننا بوصفه مسارا عقليا [...] إن العلة الغائية للعالم ككل هو وعي

الروح بحريتها الخاصة، وهو بالتالي حقيقة تلك الحرية"¹ إن لفظ الحرية هنا بدون أية صفات أخرى، يظهر باعتباره لفظاً مبهماً وغير محدد، وكلمة لا يعتمد عليها، وهي عارضة للتجاوز، هذا ما جعل هيجل يكشف عن الطبيعة الجوهرانية للحرية، التي تتضمن في ذاتها ضرورة مطلقة كما تصل إلى مرحلة الوعي الذاتي، إنها في ذاتها الهدف المراد بلوغه، الغاية الوحيدة للروح، وهذه النتيجة هي الغاية الوحيدة التي يستهدفها باستمرار مسار التاريخ الكلي، وهي التي بذلت وتبذل من أجلها كل التضحيات على الأرض الواسعة، طوال العصور التاريخية الماضية، إنها الغاية الوحيدة التي ترى نفسها متحققة وموجودة بالفعل.

أما الإنسان في نظر هيجل فدوره في التاريخ يتجلى من خلال فيما ينجزه العظماء، الذين يجعل منهم مجرد وسائل لتحقيق غايات العصر والروح المطلق: "إن رجالات التاريخ العظماء أولئك الذين تتضمن غايتهم الجزئية الخاصة تلك المسائل الكبرى التي هي إرادة روح التاريخ"²، إن تجمع الناس حول هؤلاء العظماء ومساندتهم لهم في مشروعهم، ما هو في واقع الأمر إلا إدراك من هؤلاء، أن هذه الشخصيات التاريخية تمثل الاتجاه العميق للتاريخ، الذي هو تاريخ الروح المطلق، وليس تاريخهم الخاص، وعندما يحققون غايات الروح المطلق، تنتهي مهمتهم مثل قشور فاكهة أفرغت من نواتها.

في بداية كتابه المعنون بـ "الثامن عشر من يرومير" "لويس بونايرت" يتنقد كارل ماركس فكرة هيجل التي تقول إن الإنسان وسيلة في يد التاريخ بقوله: "إن الناس يصنعون

¹فريدريك هيجل، العقل في التاريخ، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام (بيروت: دار الفنون، 2008) ص 89.

² نفس المصدر، ص 100.

تاريخهم بيدهم؛ إنهم لا يصنعونه على هواهم. إنهم لا يصنعونه في ظروف يختارونها هم بأنفسهم، بل في ظروف يواجهون بها وهي معطاة ومنقولة لهم مباشرة من الماضي. إن تقاليد جميع الأجيال الغابرة تجثم كالكابوس على أدمغة الأحياء³ لقد رفض ماركس الصيرورة الهيكلية المثالية والمجردة ورفض معها ما اعتقده هيغل تفسيراً عقلانياً للتاريخ، فأنزل ذلك الجدل الذي اعتمده هيغل على مستوى الأفكار إلى أرض الواقع ليصبح التاريخ هو تاريخ الإنسان العامل والمنتج وليس التاريخ المتحكم فيه من طرف الروح المطلق. وذهب إلى أن التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج هو الذي يفرز بشكل دياكتيكي الصراع الطبقي، يعتبر عند كارل ماركس بمثابة المحرك الأساسي للتاريخ، إذن حسب ماركس فإن التاريخ البشري محكوم بتقدم هو في حقيقته مثال لأنماط إنتاج تفهم باعتبارها مراحل تقود إلى بعضها البعض عبر النفي انطلاقاً من قوانين الجدل التي تحكم الطبيعة والمجتمع والإنسان. ونلاحظ أن ماركس ترمد على الأفكار الهيكلية لكنه لم يحسم بعد مع فكرة التقدم، بل العكس بقي وفيها لها وطورها.

2- نقد بنيامين لفكرة التقدم.. (لحظة الهدم التاريخي)

ذهب فالتر بنيامين إلى بناء رؤية فلسفية جديدة حول التاريخ، تكشف زيف فكرة التقدم وتبين تحافتها في ظل مسار الحداثة الغربية، بالنظر إلى المسار التاريخي الذي اتخذته هذا التقدم، وما آل إليه في آخر المطاف من وضع كارثي ومأساوي، الذي عرف ويلات

3كارل ماركس، "الثامن عشر من برومير لويس بوناپرت" (لندن: طبعة هامبورغ 1869) ص 6.

ومصائب وظواهر مرضية⁴، ويرى فالتر بنيامين أنه بالرغم من أن الإنسانية وصلت إلى حد كبير من التقدم العلمي والتقني، غير أن التقدم الإنساني الحقيقي لا ينحصر في هذا الشق، بل يتطلب التبشير بقيم إنسانية جديدة تتجاوز أشكال الاستغلال والقمع والسيطرة. من هنا فإن تجربة الحداثة مربوطه عند بنيامين بتجربة 'الصدمة' "shock".⁵

في نفس السياق نجد الفيلسوف هاربرت ماركوز (1898 - 1979) Herbert Marcuse يميز بين المفهوم الكمي (التقني) والمفهوم الكيفي للتقدم ويرى أن "هناك رابطة بين المفهوم الكمي والمفهوم الكيفي للتقدم: فالتقدم التقني يبدو أنه هو الشرط الأول لكل تقدم إنساني. إن ارتقاء الإنسانية خارج العبودية والفقر نحو حرية تكبر بالتدرج يفترض التقدم التقني" لكن ماركوز لا يتوقف عند هذا الحد، بل يستدرك ويقول: "ولكن من جهة أخرى، ليس التقدم الإنساني نتيجة أوتوماتيكية للتقدم التقني"⁶ هكذا نلاحظ أن أطروحته تتفق مع ما قاله فالتر بنيامين، وهذا ليس غريباً لأن هذا الأخير كان قريباً من المدرسة النقدية التي كان ينتمي إليها هاربرت ماركوز.

نجد فالتر بنيامين يمزج في أطروحته بين المادية التاريخية واللاهوت، ومن ثم يمضي إلى الهجوم على الستالينية متهما إياها بتحريف مادية كارل ماركس وتحويلها إلى مادية الميكانيكية التي لا تحصد إلا الاخفاقات وهي تظن أنها متجهة نحو النصر، وينتقل إلى إبراز موقفه حينما يرى أن المادية التاريخية ستريح اللعبة حين تضع أوهام التقدم التي ورثتها عن

⁴ كمال بومنير، فلسفة التاريخ في الأفق النقدي لفلتر بنيامين، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 10، 2013، ص 31.

⁵ Willem Schinkel, The image of crisis: Walter Benjamin and the interpretation of 'crisis' in modernity, Thesis Eleven Journal, V127, P41

⁶ هاربرت ماركوز، فكرة التقدم في ضوء التحليل النفسي، ترجمة محمد سبيلا (الدار البيضاء: منشورات زمان منشورات زمن 2005) ص 134.

الهيغلية جانبا، والتي ترى التاريخ في صراع المنتصرين والمهزومين، فالانتصار الميكانيكي صادر عن تقدم ميكانيكي لا وجود له⁷. من جهة أخرى قِيلَ بنيامين بفكرة ماركس القائلة بأن البورجوازية لا تنتج إلا حفاري قبورها، ورفض بشكل قاطع فكرته المبشرة بانتصار حتمي للطبقة العاملة. وقاده جدل الرفض والقبول إلى مقولة خاصة به، وهي مقولة "ذاكرة الروح" التي تساوي لاهوتاً منشوداً لا يحيل على الدين بالمعنى المتعارف عليه، بل على أطياف المغلوبين، الذين خسروا معارك عادلة في تاريخ واسع لا سبيل إلى تحديده، وتفضي ذاكرة الروح التي تحتاج إلى التنظيم أو اللاهوت إلى مقولتين أثيرتين عند صاحبهما:

● أولهما: الاستذكار وهو الذي يملئ على المغلوب ألا ينسى أوجاع المغلوب السابق.

● ثانيهما: الخلاص وهو الذي يعني دفاع الأحياء عن المغلوبين الذين فاتهم النصر.

لقد شكلت اللوحة الفنية المعنونة بـ "الملاك الجديد"، التي اشتراها فالتر بنيامين من أحد المعارض للفنان الألماني - السويسري "بول كلي" Paul Klee في أوائل عشرينيات القرن الماضي. مدخلا أساسيا لفهم النقد الذي وجهه بنيامين لفردريك هيغل، وقد علق عليها في أطروحته التاسعة قائلا: "حيث ظهر فيها ملاك التاريخ مفرد الجناحين، يبدو كما لو أنه يستعد للابتعاد عن شيء ما، وهو يحدق به. أعينه مفتوحة عن آخرها، فاغرافاه ومفردا جناحيه. يتوجب على ملاك التاريخ أن يكون على هذه الصورة. لقد ولى وجهه باتجاه الماضي. وحيث تظهر لنا سلسلة من الأحداث، لا يلمح هو سوى كارثة واحدة وحيدة، تجمع في طريقها، وبلا توقف، أنقاض ورا الأنقاض، وتقذف بها أمام أقدامه.

7 فيصل الدراج، فالتر بنيامين ولاهوت التاريخ، مجلة الكرمل العدد (86) 2006، ص157.

يجد لو يترث قليلا، ليقظ الموتى ويجمع قطع الحطام. لكن عاصفة تهب من الجنة، لتلتصق بجناحيه، حتى أنه يعجز، بسبب قوتها، عن أن يخطهما من جديد. تدفعه العاصفة بلا توقف نحو المستقبل الذي يوليه ظهره، بينما ترتفع كومة من الحطام أمامه إلى السماء. هذه العاصفة هي ما نسميه التقدم⁸، بناء عليه، نرى أن فالتز بنيامين ينهال على مفهوم التقدم بالنقد، لأنه يصف المستقبل واعداء، ولا يرى إلى مأساة إنسانية متواترة، يعيد التقدم إنتاجها بشكل موسع، وهذا المفهوم حسب بنيامين لا معنى له إن لم يُعَفِّ المهمشين من تهميشهم ويضع بين أيديهم سعادة حُرْمَتُهُمْ منها أزمنا ما قبل التقدم. فحتى عصر التنوير المبني على فكرة التقدم، يعده بنيامين كارثة غير مسبوقة.

ويتبين أن التماهي بين مفهوم التقدم من جهة ومفهوم الكارثة من جهة ثانية له دلالة الكبرى، وذلك بالنظر لكون الماضي من وجهة نظر المهزومين، ليس إلا سلسلة من الكوارث المتتالية التي تسببت في إحداثها الطبقات الحاكمة عبر كل العصور بدافع من الأنانية وحب التملك، والشواهد التاريخ على ذلك كثيرة: تمرد العبيد، حرب الفلاحين، انتفاضة جانفي البرلينية 1919 هذه الشواهد كثيرا ما ترد ضمن كتابات بنيامين المفارقة وهي لا تعطس جبروت الماضي الذي انقضى فقط، بل لا تزال تشهد على رهائنا⁹.

أما المفهوم الثالث الذي نستطيع أن نتوقف عنده هنا فهو مفهوم "الأنقاص" الذي يردّ من خلاله على فلسفة التاريخ عند هيجل التي ارتأت إلى أن تقدم التاريخ يبرر كل

8 ولتر بنيامين، عن مفهوم التاريخ، ترجمة: رشيد بوطيب، ف-9.

9 بلعاليه دومه ميلود، تصور التاريخ لدى "ولتر بنيامين"، مجلة الدوين العدد 12، 2015، ص 11.

أشكال الركام الإنساني، فالتاريخ كما رآها الفيلسوف الألماني (هيجل) هو مدى شاسع من الركام يضحى فيه الأفراد بسعادتهم معتقدين أن الانتصار للعقل الكوني هو السعادة الحقيقية، هذا ما جعل بنيامين يواجه التاريخ الهيجلي الذي تختلط فيه الأنقاض بالبشر، بتاريخ آخر مأساوي المنظور، يدير ظهره لتجليات العقل في التاريخ، الذي مثلته الامبراطوريات الكبرى ، ويتأمل طويلا المذابح الكبرى في التاريخ، ونقض الأول صياغة هيجل الشهيرة " العقل في التاريخ" التي ترى الانتصار وتمسح البشر، بصيغة مغايرة: "العذاب الإنساني في التاريخ". كيف يمكن للمرء أن يبدأ حتى في تخيل "ما وراء" الظروف التاريخية لوجود المرء باستخدام الأدوات المفاهيمية التي توفرها هذه الظروف بالذات؟ يؤكد أن إجابة بنيامين على هذا السؤال تأتي في شكل 'قيصرية' جذرية ، وهي انسداد مفاجئ في حركة الخيال الأسطوري ، والتي لا تطرح رؤية بديلة للسياسة بقدر ما توفر مساحة للتفكير في الاحتمالات السياسية الجديدة. على هذا النحو، تشكل 'الثورة' بالنسبة لبنيامين لحظة سلبية بالضرورة ومفهوماً محدداً ، يرسم الحدود النهائية للسياسة كما نعرفها. أنا أزعّم أن منهج بنيامين في 'الصورة الديالكتيكية' لا غنى عنه لهذا المفهوم للسياسة الثورية.

يمكن القول إن فالتر بنيامين قد استطاع أن يكشف زيف فكرة التقدم ويبين هفواتها ويبحث عن انتصار الذين لم ينتصروا أبداً لكن هل علينا أن نؤمن بقدرية التاريخ ومنطق أمر الواقع؟

3- فالتر بنيامين البناء التاريخي

بالعودة إلى الأطروحة السادسة يقول بنيامين: "إن التعبير تاريخياً عما حدث، لا يعني التعرف عليه كما كان في الواقع" من هنا لا يمكننا أن نتحدث عن شيء اسمه "

موضوعية المعرفة التاريخية" ولا عن استقلالية المؤرخ وحياده، وفي نفس السياق يكتب "إن الخطر يهدد استمرار التقاليد كما يهدد أتباعها. إنه واحد بالنسبة للثنتين: خطر التحول إلى أداة للطبقة الحاكمة. يتوجب في كل حقبة محاولة استعادة التراث من جديد من القوى الامتثالية التي تسعى إلى قهره"¹⁰. وأعتقد أن المفهوم الذي يجب أن نتوقف عنده هو مفهوم التراث، الذي يراه بنيامين بمثابة أرضية للصراع بين المنتصرين والمنهزمين، فللمنتصرين تراثهم المرتبط بسيروته القائمة على الاستمرارية التاريخية الذي يستعملونه لصالحهم. تأسيساً على ما سبق يمكن القول، إن التراث أداة قهرية في يد المنتصرين لإخضاع المهزومين، من هنا يصل بنيامين إلى الحقيقة التالية: حتى الأموات لن يأمنوا شر العدو إذا انتصر. وهذا العدو لم يتوقف البتة عن الانتصار¹¹.

وينتصر فالتز بنيامين للمؤرخ المادي، ويشبّهه بشخص يدق طبول الحرب لإيقاظ أرواح المحاربين القدامى ولاستدعاء الحلقات المنسية من التاريخ، في مواجهة الروايات التاريخية الرسمية، من هنا نلاحظ أن بنيامين يضع المؤرخ المادي أمام مسؤولية تاريخية عليه أن يقوم بها، إدراكاً منه أن الرواية الرسمية تحمل تاريخاً سرياً من الدم. "إنها تقاليد المقموعين من تعلمنا بأن "حالة الطوارئ"، التي نعيش فيها، هي القاعدة، ويتوجب علينا أن نصل إلى مفهوم للتاريخ يتوافق مع ذلك. وحينها ستتجلى مهمتنا في فرض حالة الطوارئ الحقيقية أمام أعيننا، إذ عبر ذلك ستتحسن وضعيتنا في الكفاح ضد الفاشية"¹² فعلى الطبقة

¹⁰ ولتر بنيامين، عن مفهوم التاريخ، ترجمة: رشيد بوطبيب، ف6.

¹¹ نفس المصدر، ف16.

¹² نفس المصدر، ف8.

المهزومة أن تتخلص من حالة الطوارئ التي تتخبط فيها أي ضرورة الوعي؛ أي أن الوضع الكارثي للتاريخ باعتباره وضعاً استثنائياً لكن إبراز حالة الطوارئ هذه تقتضي بدورها قلباً كاملاً للأدوار على خشبة مسرح التاريخ وهو العمل الملقى على عاتق المؤرخ المادي التاريخي لأنه هو القادر على تأويل التاريخ من وجهة نظر المهزومين، وهذا بعد فضح كل نزعة تاريخية ترتدي قناع التقدم باسم مقولات العلية والتحليل الموضوعي للوقائع والحياد الإيديولوجي بشأن أحكام التاريخ. إن الدعوة إلى إعادة تأويل التاريخ من وجهة نظر المهزومين هي دعوة لفلسفة تاريخ جديدة تجد منابع ولادتها فضلاً عن الرومانسية الألمانية، ضمن تركيب عجيب بين مرجعيتين فكريتين هما الماركسية واليهودية.

ف"المادي التاريخي" يستطيع نزع صفة القداسة عن ذلك المشهد الاستعراضي الذي تقدمه رواية المنتصرين، وهو الذي يساءل فرضيات هذه الرواية التاريخية، وعياً منه بأن أي توثيق للثقافة هو بالضرورة توثيق للهمجية في الوقت ذاته. يقول في ذلك فالتر بنيامين "ويجب أن يضعوا في اعتبارهم بأنهم سيجدون في المادي التاريخي مراقباً محتزراً. ذلك أن ما ينظر إليه كتراث ثقافي هو في جملته بالنسبة إليه من أصل لا يمكنه أن يفكر فيه دون شعور بالفزع. ولا يدين هذا التراث بوجوده فقط لجهد العباقرة الكبار الذين خلقوه"¹³. يظهر مما سبق، أن مهمة المؤرخ المادي التاريخي تكمن في أن يمشط التاريخ في الاتجاه المعاكس عبر الطعن في رواية المنتصرين التاريخية، ونستنتج أن الحاضر يكتسب بعداً خلاصياً في فكر بنيامين، إذ نراه "كمجال" مفتوح لعدة احتمالات منها الخلاص والانعقاد.

13 نفس المصدر، ف7.

عموماً يمكنني أتساءل، إذا كان أفق الفكر السياسي مقيداً بخيال تاريخي مرتبط بالوضع الراهن، كيف يجب على المرء تحديد وجهة النظر التي يمكن من خلالها تطوير نظرية التغيير السياسي الحقيقي؟ يجب أن نفهم أن النقطة التي نبحث عنها هنا، لا يمكن العثور عليها في المستقبل باعتباره "المثل الأعلى للأحفاد المحررين" بحث أن الأسطورة تقطع الصلة بين الممارسة السياسية في الحاضر ووعود الماضي التي لم يتم الوفاء بها، إن الصيغة التي اقترحتها بنيامين للخروج من هذا المأزق هي تطوير تاريخ مادي يهدف إلى "تفكك" الأساطير في حقل التاريخ، ليس من خلال سرد تاريخ بديل أكثر تقدماً، ولكن عن طريق بناء صور جدلية حيث تنبثق الوعود التي لم يتم الوفاء بها والنضالات التي تم طمسها من الماضي من "تكريسها" المتجسد في الروايات التاريخية¹⁴. بعبارة واضحة يمكننا أن نقول، إن فالتر بنيامين يلجأ هنا إلى معارضة مؤرخ بآخر، وبالتالي فهو لا يقوم بعملية الهدم فقط وإنما يقوم بها بعملية البناء في نفس الآن؛ فمواجهة الصيغة الرسمية للتاريخ التي تصور التاريخ الإنساني أبدياً ومرتبة للجوهر الإنساني، تذكر بالتاريخ الحقيقي الغائب وتحرس ذاكرة المغلوبين وتدافع عنها. ومن جهة أخرى، إن جوهر تاريخ المنتصرين هو الحروب والكوارث والمذابح وبأن تاريخ الإنسانية لا تظفر بسلامها إلا بولادة تاريخ جديد يقوم على العدل لا على الانتصار، بهذا يكون على المؤرخ المادي أن يوقظ تاريخاً مكبوتاً. إن علاقة الحاضر بالماضي المؤول تجعل هذا الأخير في فضاء جديد¹⁵.

¹⁴ Ince, Onur Ulas, Politics of History, Narrativity, Ideology, and Walter Benjamin's Critique of Progress, SSRN Electronic Journal September 5, 2008.p13.

¹⁵ فيصل الدراج، فالتر بنيامين ولأهوت التاريخ، مجلة الكرم العدد (86) 2006، ص 170.

إن ما وصلنا من روايات تاريخية والتراث المتعلق بها، لا يمكن الوثوق به دائما، لأن كل هذا الإرث وهذه الروايات تكون روايات أحادية الجانب وربما خاطئة، على اعتبار أنها مجموعة من السرديات عملت السلطة الحاكمة على بنائها وصياغتها في ظروف سياسية معينة، معتمدة في ذلك على "مؤرخ السلطة" الذي يكتب التاريخ الرسمي، مما يطعن في مقولة "موضوعية المعرفة التاريخية"؛ هكذا تأسست عندنا الرواية الرسمية التي أضحت أداة أيديولوجية و هذا ما رأيناه مع "فالتر بنيامين" في أطروحته السادسة عندما يرى أن التعبير تاريخيا عما حدث، لا يعني التعرف عليه كما كان في الواقع ، وفي نفس السياق ، يراه بنيامين أن التراث بمثابة أرضية للصراع بين المنتصرين والمنهزمين؛ وعلى المنهزمين أن "يفرملوا" التاريخ من أجل القيام بثورتهم وهذه هي المسؤولية الملقاة على عاتق "المؤرخ المادي التاريخي" وإلا سيبقى هذا التراث أداة قهرية في يد المنتصرين لفرض سيطرتهم على المهزومين. أي حاجة لهذا التصور عربيا؟

عربيا؛ يمكننا أن نقول، إننا في حاجة إلى نزع القداسة عن التاريخ الرسمي، عبر مساءلة فرضيات الرواية التاريخية الرسمية، ونقول ذلك وعيا منا بأن أي تأثير للثقافة هو بالضرورة تأسيس للهيمنة، يتوسل نظام الحكم التراث، من أجل ترسيخ العرف الشائع الذي يخدم مصالحه قبل كل شيء، ويعزو سطوة التقاليد من خلال آيات وأحاديث قدموا لها تأويلهم الخاص، إذ يبرزون من خلالها تلك الجوانب التي تؤكد القناعة بأمر الواقع والخضوع للاستبداد، أما الجوانب الثورية في التراث، و جوانب التحرر والإبداع والتغيير، والعدل والكرامة الإنسانية ورفض الطغيان فيسدل عليها ستار كثيف من التعقيم، هكذا يصبح كل ما هو عصري يساعد الإنسان على تحرير ذاته وامتلاكه لزمam مصيره "بدعة"، وكل دعوة إلى العدل والعدالة والكرامة "فتنة"، هكذا يتحول التراث إلى سلاح المتسلط على رقاب

المغلوبين، "يخدر النقد" ويخلق مجتمعا بلا معارضة، وعليه، فإننا في السياق العربي أكثر حاجة إلى فرملة التاريخ وتمشيطة في الاتجاه المعاكس.

خاتمة:

لقد استطاع فالتز بنيامين أن ينتقد فكرة التقدم كما هي عند كل من فريدريك هيجل وكارل ماركس، بعد أن كشف زيفها وتين تحافتها في ظل مسار الحداثة الغربية، بالنظر إلى المسار التاريخي الذي اتخذ هذا التقدم، وما آل إليه في آخر المطاف من وضع كارثي ومأساوي. ولم تتوقف مهمة فالتز بنيامين في عملية الهدم التاريخي بل تجاوزها إلى بناء رؤية فلسفية جديدة حول التاريخ تدعو إلى "فرملة التاريخ" أو إعادة تمشيطة في الاتجاه المعاكس، والذي يمكن أن يقوم بهذه الأمر هو المؤرخ المادي التاريخي الذي يستطيع نزع صفة القداسة عن ذلك المشهد الاستعراضي الذي تقدمه رواية المنتصرين، وإعادة تأويل التاريخ من وجهة نظر المهزومين هي في نظرينا دعوة لفلسفة تاريخ جديدة، و يمكننا أن نستفد من فالتز بنيامين في السياق العربي الذي تستند فيه أنظمة الحكم إلى سرديات تاريخية من أجل فرض سيطرتها واستمراريتها.

المصادر والمراجع المعتمدة:

1. بنيامين، ولتر. عن مفهوم التاريخ، ترجمة: رشيد بوطيب (لم ينشر بعد).
2. هيجل، فريدريك. العقل في التاريخ، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، بيروت: دار التنوير، 2008.
3. كارل ماركس، كارل. الثامن عشر من برومير لويس بوناپرت، لندن: طبعة هامبورغ 1869.
4. ماركيز، هاربرت. فكرة التقدم في ضوء التحليل النفسي، ترجمة محمد سبيلا، الدار البيضاء: منشورات زمان منشورات زمن 2005.
5. بومير، كمال. فلسفة التاريخ في الأفق النقدي لفلتر بنيامين، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 10، 2013.
6. الدراج، فيصل. فالتز بنيامين ولاهوت التاريخ، مجلة الكرمل العدد (86) 2006.
7. ميلود، بلعاليه دومه. تصور التاريخ لدى "ولتر بنيامين"، مجلة الدوين العدد 12، 2015.

1. Schinkel. Willem, *The image of crisis: Walter Benjamin and the interpretation of 'crisis' in modernity*, *Thesis Eleven Journal*, V127.

2. Ince, Onur Ulas, *Politics of History, Narrativity, Ideology, and Walter Benjamin's Critique of Progress*, *SSRN Electronic Journal* September 5, 2008.p13